

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - إسكندرية
أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية

من وحي الميلاد



عظات للقديس أغسطينوس أسقف هيبو

من آباء القرن الرابع الميلادي

من كتابات الآباء (٥)

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج ـ الإسكندرية
أسرة القديس ديديموس
للدراسات الكنسية

من وحي الميلاد

عظات للقديس أغسطينوس

أسقف هيبو

قراءات الآباء (٥)

اسـم الكتـاب : من وحي الميلاد

المؤلـف : القديس أغسطينوس أسقف هيبو .

الترجمـة : أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية .

الناشـر : كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس ـ سبورتنج .

الطبعـة : الثالثة (منقحة) .

المطبعـة : مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط .

رقـم الإيـداع : ٢٠٣٢٨/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 977 - 334 - 037 - 6

السعر: جنيه واحد



حضرة صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

مقدمــة

يتميَّز القديس أغسطينوس بتأملاته في الأسرار الإلهيـة المُذخَرة في التدبير الإلهي وهذا نابع من حياة التقوى التـي عاشها بعد توبته حيث كان شخص الرب يسوع هو هدفـه ونقطة انطلاقه.

وأُحصيت كتاباته فـي الكتـب الدفاعيـة، والعقائديـة، والتفاسير الكتابية. وكان لـه دور فـي الكتابـات الأدبيـة (اللاهوت الأدبي) وأيضًا الرعوية، بالإضافة إلى العظات، والخطابات، وأيضًا الأشعار.

وبالنسبة لعظاته التي بلغت حـوالي ٣٦٣ عظـة فقـد قُسِّمَت على النحو التالي:

١- عظات حول العهد القديم والجديد (١ - ١٨٣).
٢- عظات حول مناسبات مختلفة (١٨٤ - ٢٧٢).
٣- عظات عن القديسين (٢٧٣ - ٢٤٠).
٤- عظات مختلفة (٣٤١ - ٣٦٣).

والعظات التي بين أيدينا تتحدث عن ثلاث مناسبات:

١- (العظة ١٩٨) بمناسبة العام الجديد حيث استهلَّ القـديس أغسطينوس حديثه بإنشاد كلمات المزمور "**خلِّصنا أيها الرب**

إلهنا، واجمعنا من بين الأمم، لنحمد اسم قُدْسك" (مز ١٠٦: ٤٧).
ثم أوضح ما يفعله الوثنيون في مثل هذا اليوم من كل عـــام حيث أنهم يُرضُون الشيطان إلههم عن طريق ممارسة اللهو والفجـــور، أمَّا نحن المسيحيين فلا نُشاكل أهل هذا الدهر. فبالرغم من اختلاطنا مع الوثنيين بالجسد إلا أننا معزولون عنهم لأن إلهنا يسوع المسيح تجسَّد وأعطى ذاته ثمنًا ليفدينا ويفصلنا عن الوثنيين. ومن هــذا المُنطلَــق بــدأ القــديس أغسطينوس يحثّ جموع المسيحيين على البعد عن أعمـــال الظلمة التي تُمارَس في بدء العام الجديد.

٢- (العظات ١٨٤، ١٨٦، ١٩٦) تتحدث عن الميلاد حيــث أوضح القديس أغسطينوس مفهوم التجسُّد الإلهي، وكيف تلد عذراء؟ ولماذا سُمِّيَ كلمة الله الأزلي "ابن الإنسان" بحـــسب التجسُّد؟

وقد استخدم القديس أغسطينوس في هذه العظات طريقة مُخاطَبَة الجموع بأسلوب شعري في بعض الأحيان. وركَّز على أنَّه بالتجسُّد الإلهي لم يفقد كلمة الله الأزلي صفاته الإلهية ولم يتحوَّل أو يتغيَّر، وكذلك لم يتحوَّل الجسد الــذي أخــذه الكلمة إلى طبيعة اللاهوت بل احتفظ كل منهمـــا بطبيعتـــه وصفاته الأقنومية في التجسُّد مؤكِّدًا على حقيقة جسد المسيح.

ربَط أيضًا القديس أغسطينوس بين مفهوم الميلاد العذراوي لكلمة الله الأزلي من البتول مريم العذراء ومفهوم الطهارة في كلٍ من حالات الزواج والترمُّل والبتولية.

٣- (العظة ٢٠٤) تُضاف إلى عظات الميلاد ولكنها قيلت بمناسبة زيارة المجوس إلى الطفل يسوع حيث يُسمَّى هذا اليوم في الطقس اللاتيني بعيد "الإبيفانيا".

وبمهارة روحية استطاع القديس أغسطينوس أن يُوضِّح مَعنى قول النبي إشعياء **"الثور يعرف قانيه والحمار مَعلَف صاحبه"** (إش١: ٣) حيث استخدم التعاليم الرمزية ليشير إلى معنى الثور الذي هو اليهود شعب الذبائح (الرعاة)، والحمار الأغلف هم الوثنيون البعيدون عن رعوية شعب الله (مُمَثَّلين في المجوس) وكيف وحَّد المسيح كِلا الشعبَين صائرًا حجر الزاوية.

والكنيسة إذ تُقدِّم هذه العظات لكي نتلاقى من خلالها مع فكر الآباء، تشتاق بالأكثر أن نلتقي جميعًا بالمسيح المولود في بيت لحم بل بالحري أن نتَّحِد به من خلال أسرارها المُحيية وتعاليمها الحية.

تُرجِمت هذه العظات عن الترجمة الإنجليزية الموجودة في

Catholic University Press
Patristic series
St. Augustine

الرب يجعل كلمات هذا الكتاب تعمل في نفوسنا ببركة ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح وبصلوات حضرة صاحب القداسة والغبطة قداسة البابا شنوده الثالث.

أسرة القديس ديديموس الضرير
للدراسات الكنسية

✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

العظة الأولى*
عن رأس السنة

١. أيها الأحبَّاء إذ أراكم اليوم وقد تجمَّعتم معًا كما يليق بهذا العيد الجليل وجئتم بأعداد كبيرة أكثر من المعتاد، فإنني أخاطب الإخلاص الذي فيكم أن تتذكَّروا ما ترنَّمتم به توًّا حتى لا يكون صوتكم مُدويًا بينما قلبكم صامتًا. ولكن بالأولى أن ما لَفَظَ به لسانكم - في أذان بعضكم البعض - يصل إلى أذنَيّ الرب. وهذا ما ترنمتم به "*خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم لنحمد اسم قُدسك*" (مز١٠٦: ٤٧).

الآن وفي هذا العيد يحتفل الوثنيون اليوم بفرح العالم وبفرح الجسد، متغنين فيه بأغانٍ رديئة لا معنى لها، يقيمون الولائم ويرقصون الرقصات المُخزية. فإذا لم تسعدكم هذه الاحتفالات الخاطئة التي للوثنيين فسيجمعكم الرب من بين الأمم[1].

---

* وهى العظة رقم ١٩٨ من عظات القديس أغسطينوس.

[1] على الرغم من مُضي القرون بيننا وبين عصر القديس اغسطينوس إلا أننا إلى الآن نعاني من نفس المشكلة التي يعالجها وهى الاحتفال برأس السنة بأسلوب غير مسيحي والتقليد غير الواعي للبعض منّا للمجتمعات العالمية في طريقة احتفالهم.

٢. نعم بالفعل لقد ترنّمتم بهذا المزمور وصداه لا يزال في أذاننا "***خلّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم***" (مز١٠٦: ٤٧). مَنْ الذي يمكن أن يُجمَع من بين الأمم دون أن يَخلُص؟ إذن فهؤلاء الذين يخالطون الوثنيين لا يَخلصُون، الذين يَخلصُون هم الذين يُجمَعون من بينهم في خلاص الإيمان، خلاص الروح، وخلاص الوعود الإلهية.

ولكن، فإنّ هؤلاء - الذين لديهم إيمان ورجاء ومحبة - لا يجب أن يتّكلوا على ذلك مُتأكدين من خلاصهم، لأن ما يهم هو بماذا يؤمنون ويرجون وماذا يحبون؟ لأنه ليس أحد من الأحياء - بأي شكل من أشكال الحياة - يعيش دون هذه الحركات الثلاث التي للنفس ألا وهي: الإيمان، والرجاء، والمحبة. فإن لم تؤمنوا بما يؤمن به الوثنيون، إن لم ترجوا ما يرجونه، إن لم تحبوا ما يحبونه، إذن فقد جُمِعتم من بين الوَثنيين، لقد بَعدتم عنهم، أي انفصلتم عن الأمم.

لا تدعوا اشتراككم المادي معهم في الحياة يُزعجكم طالما انفصلتم عنهم بالعقل. لأنه أي اختلاف أكثر يمكن أن يكون بيننا وبينهم؟

هم يؤمنون بالشياطين كآلهة بينما أنتم تؤمنون بالله الواحد الحقيقي.

هم أيضًا يرجون أباطيل هذا العمر الفاني بينما أنتم ترجون الحياة الأبدية مع المسيح.

هم يحبون هذا العالم ولكن أنتم تحبون خالق هذا العالم.

إذن فليقم كل مَنْ يؤمن، ويرجو، ويحب أشياء غير التي لهؤلاء بإثبات هذا بحياته وليظهره بأعماله. هل ستشتركون في احتفالات العام الجديد؟ هل ستكون كالوثني تلعب الزهر وتسكر، بينما أنت آمنت، ورجوت، وأحببت شيئًا خلاف ذلك؟ كيف لك بعد ذلك أن تترنم بجرأة "**خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم**".

أنتم منفصلون عن الوثنيين روحيًا، على الرغم من اختلاطكم معهم بالجسد فأنتم مُختلفون عنهم في طريقة حياتكم. انظروا كيف أنَّ هذا الفرق واضح. فقط إن جعلتموه أنتم هكذا وبرهنتم على ذلك. لأن إلهنا يسوع المسيح ابن الله الذي تجسَّد من أجلنا قد دفع ثمنًا لأجلنا. أعطى ذاته ثمنًا وفعل ذلك لهذا القصد، لكي يفدينا ويفصلنا عن الوثنيين. ولكن إن أردتم أن تخالطوا الوثنيين فأنتم لا تريدون أن تتبعوا ذاك الذي اشتراكم. وأضيف إلى ذلك أنَّ اختلاطكم مع الوثنيين في حياتكم، وأعمالكم، وقلبكم، من خلال إيمانكم، ورجائكم وحبكم لِما لهم، يجعلكم ناكرين لمشتريكم

غير مُقدِّرين الثمن الذي به اشتُريتم ألا وهو دم الحَمَل الذي بلا عيب. إذن لكي تتبعوا فاديكم الذي أعاد شراءكم بدمه لا تختلطوا مع الوثنيين بتقليدكم عاداتهم وأعمالهم، عندما يعطون الهدايا أعطوا أنتم صدقة [٢]. هم يضللهم التغني بالحرية أمّا أنتم فتتبعون كلام الكتاب المقدس، هم يهرعون إلى المسارح أما أنتم فللكنيسة، هم يشربون ويسكرون أمّا أنتم فتصومون. إن لم يكن في استطاعتكم الصوم فعلى الأقل ليكن طعامكم باعتدال، فإن تصرّفتم هكذا أصبح صحيحًا ترديدكم "**خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم**".

٣. كثير منكم الآن سيحدث داخل قلبه صراع من الكلمة التي سمعتموها لأنني قلت "لا تعطوا هدايا ولكن اعطوا الفقراء" ولكن لا يكفي أن تعطوا فحسب بل أن تعطوا بسخاء.. لا تريدون أن تعطوا أكثر؟! حسنًا ولكن فلتعطوا. ولكنكم تعترضون قائلين "عندما أعطي هدية السنة الجديدة فكأنما أعطي لنفسي هدية" ماذا إذن؟ ألا تأخذون شيئًا عندما

[٢] كانت العادة القديمة والمستمرة إلى الآن هى تقديم الناس للهدايا بعضهم لبعض بمناسبة رأس السنة والقديس هنا ينتقد المغالاة في هذا الأمر دون الاهتمام بتقديم العطايا للفقراء.

تعطون الفقراء؟ بالتأكيد تأخذون.. فأنتم لا تؤمنون بما يؤمن به الوثنيون أو ترجون ما يرجونه. ولكن إن قلتم إنكم لا تحصلون على شيء عندما تعطون الفقراء فقد أصبحتم كالوثنيين وصار بلا حق ترنمكم "**خلِّصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم**". لا تَصيروا غير فاهمين لهذه الآية التي تقول "**مَنْ يعطي الفقير لا يحتاج**" (أم٢٨: ٢٧). أنَسيتُم ما سيقوله الرب لهؤلاء الذين أعطوا صدقة للفقراء "**تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت**" (مت٢٥: ٣٤)، وماذا سيقول لهؤلاء الذين لم يعطوا الصدقة "**اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية**" (مت٢٥: ٤١)؟ هنا وفي هذه اللحظة هل يقف هؤلاء الذين سمعوا الكلمة بفرح مع الذين لم يتقبلوها بسرور؟

أنا الآن أتحدث إلى المسيحيين الحقيقيين، إذا كنتم تؤمنون وترجون وتحبون غير ما يحبه هؤلاء الوثنيون فعيشوا بطريقة مختلفة، نائلين الرضا (من الله) على إيمانكم ورجائكم ومحبتكم الواضحة بأعمالكم الصالحة.

أصغوا باهتمام للرسول عندما يُحذِّرنا بقوة "**لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أيَّة خُلطة للبِر والإثم؟ وأيَّة شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟**

وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأيَّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟" (٢كو٦: ١٤-١٦). وفي موضع آخر يقول "**بل إنَّ ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين، لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين**" (١كو ١٠ : ٢٠).

إن عادات الوثنيين تُسِر آلهتهم ولكن الذي قال "**لست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين**" تمنَّى أن ينفصل مَنْ يسمعونه في طريقة حياتهم ومبادئهم (أخلاقهم) عن هؤلاء الذين خدموا الشياطين. لأن الشياطين تفرح بالأغاني الخادعة، والعروض التي بلا قيمة، التلوث المُتنوِّع الذي في المسارح، وبجنون الألعاب والوحشية التي في ساحات الألعاب وبالمناقشات العنيفة لهؤلاء الذين يأخذون على عاتقهم النزاع والجدال ويُثيرون الخصومات في تأييدهم لشخصيات رديئة مثل ممثل العروض الصامتة أو المسرحيات أو العروض الموسيقية... وهم بتصرُّفهم بهذه الطريقة فكأنما يُبخِّرون للشياطين في قلوبهم، لأن هذه الأرواح الخادعة (الشياطين) تبتهج بالإغراءات، وتستمد قوتها من هذه العادات الشريرة والحياة الرديئة التي يحياها هؤلاء الذين خدعتهم هذه الأرواح وأوقعتهم في شراكها.

ولكن أنتم، كما يقول الرسول "... لم تتعلَّموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حق في يسوع... فلا تكونوا شركاءهم. لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور" (أف٤: ٢٠ - ٢١ ، ٥: ٧ - ٨) لكيما نحن أيضًا الذين نُبشِّركم بكلمة الرب نفرح معكم ولأجلكم في النور الأبدي.

العظة الثانية*
عن عيد الميلاد

١. إن ميلاد ربنا ومُخلِّصنا يسوع المسيح، الذي فيه "**الحق من الأرض ينبت**" (مز٨٥: ١١) الذي أصبح يمتد يومًا إلى يوم حتى إلى وقتنا هذا، قد أشرق علينا اليوم كيوم خاص يستحق الاحتفال بعودة ذكراه. كما قيل - "**فلنبتهج ونفرح فيه**" (مز١١٨: ٢٤). لأن إيمان المسيحيين يتعلَّق بالفرح الذي قدَّمه لنا تواضع هذا السامي، ذلك الفرح البعيد عن قلوب الأشرار، فإن الله أخفى ذلك عن الحكماء والفهماء وأعلنها للأطفال (مت١١: ٢٥). فليتمسك المُتواضِع بتواضع الله، حتى عن طريق هذه المعونة العظيمة يستطيع أن يصل إلى جبل الله. ولكن الحكماء والفهماء، في حين أنهم يهدفون إلى الوصول إلى علو الله، لا يضعون ثقتهم في الأمور المتواضعة، ولكنهم يتجاهلونها ولذلك يفشلوا في الوصول إلى الأعالي.

وإذ هم باطلون وبلا قيمة، مُنتفِخون ومُتبَاهون، لذلك توقفوا عند موضع وسط بين السماء والأرض ممتلئ

---

* وهى العظة رقم ١٨٤ من عظات القديس أغسطينوس.

بالرياح. فهم حكماء وفهماء بحسب هذا العالم ولكنهم ناقصين بحسب مقاييس خالق هذا العالم. لأنه لو كانت لهم الحكمة الحقيقية التي من الله والتي هى الله، لكانوا فهموا أن الله يمكنه أن يأخذ جسدًا بدون أن يتحوّل هو إلى جسد، فلقد أتى وأخذ ما ليس له ولكنه ظلّ كما كان، أتى إلينا في شكل إنسان ولكنه لم يترك الآب، وبذلك احتفظ بالطبيعة الإلهية في حين أنه ظهر في الطبيعة البشرية ...

العالم كله من صنعه وهو في حضن الآب، فمعجزة ولادته من العذراء هى من صُنعه هو عندما أتى إلينا. في الحقيقة فإن أمه العذراء قد شهدت لجلالته في أنها عذراء قبل أن تحبل به وبقيت عذراء حتى بعد ولادته. صار لها ولداً، ولم يكن هذا عن طريق رجل. حبلت بإنسان ولكن ليس بفعل إنسان، كانت مُباركة بالأكثر لأن ولادتها للمسيح جاءت بدون فقدان لبتوليتها.

يقول البعض بأن معجزة التجسُّد العظيمة هذه مجرد خيال وليست حقيقية. وعلى هذا الأساس فبالنسبة للمسيح الإله المُتأنِّس، فإنهم لا يستطيعون تصديق صفاته البشرية مع كونه إلهًا فهم يزدرون بها. وحيث أنه

لا يمكنهم أن يرفضوا صفاته الإلهية مع كونه مُتجسِّدًا فهم لا يصدقونها[٢]. ولكن بالمقدار الذي في تقديرهم يزدرون بناسوت الإله المُتأنس تكون مسرتنا في ناسوته بالأكثر، وبالقدر الذي يبدو حَبَل العذراء وولادتها ليسوع مستحيلاً في أعينهم، تكون ولادتها إلهية بالأكثر في أعيننا.

٢. من هنا دعنا نعيِّد بميلاد ربنا باجتماع بهيج وباحتفال لائق. فليبتهج الرجال والنساء، لأن المسيح الرَّجُل وُلِدَ. ولقد وُلِدَ من امرأة، ليكون الجنسان مُكرَّمين معًا.

---

[٢] يشير القديس أغسطينوس في هذه الفقرة إلى نوع من التعاليم الخاطئة التي كانت مُنتشرة في القرون المسيحية الأولى وتنسب لجماعة "الخياليين" حيث كانوا يُعلِّمون أن السيد المسيح كانت له طبيعة إنسانية خيالية غير حقيقية وهى من أقدم الهرطقات حول شخص السيد المسيح وأساسها هو أن المادة شريرة ومصدر الخطية في الإنسان لذلك لا يمكن أن تتحد مع الله وقد ذكر القديس إيرينيوس أسقف ليون في القرن الثاني أربعة أشكال لهذه التعاليم الخاطئة تتلخص في الآتي:

أ- أنَّ الإنسان يسوع كان عبارة عن مسكن مؤقت للمسيح منذ العماد وحتى الصليب أثناء حياته على الأرض.

ب- أنَّ المسيح كان له جسد خيالي.

ج- أنَّ المسيح كان له جسد ظاهري فهو لم يأخذه من العذراء مريم بل أحضره معه من السماء وعَبَرَ من خلال العذراء كعبور الماء خلال أنبوبة .

د- المصلوب لم يكن هو المسيح ولكنه كان سمعان القيرواني الذي شُبِّهَ لليهود بأنه هو المسيح.

لتنتقل الآن الكرامة التي أُعطيت للإنسان الأول (آدم) قبل إدانته، إلى الإنسان الثاني (المسيح). لقد جَلَبَتْ امرأة علينا الموت، والآن امرأة جلبت لنا الحياة. فـ "شبه جسد خطيتنا" (المسيح) (رو٨: ٣) قد وُلِد لكي بميلاده يتطهَّر هذا الجسد الذي فيه الخطية. فلا يُلام الجسد، ولكن ندعه يموت للخطية لكي يحيا في طبيعته الحقيقية. ليُولَد الذي في الخطية (الإنسان) ثانيةً في ذاك (المسيح) الذي وُلِد بدون خطية.

تهللوا أيها الشباب المُقدَّسون، الذين إذ اختاروا المسيح كمثال يستحق التَمثُّل به، لم يطلبوا الزواج. لأن ذاك (المسيح) الذي تُقَدِّرونه لم يأتِ إليكم عن طريق الزواج، لكي يعطيكم نعمة حتى لا تهتموا بالطريقة التي أتيتم بها إلى العالم. لأنكم أتيتم إلى الوجود عن طريق الزواج الجسدي، الذي بدونه أتى هو إلى الزيجة الروحية. وأنتم الذين دعاكم بطريقة خاصة للزيجة الروحية، أعطاكم النعمة ألا تُبَالوا بالزيجة الأرضية[٣]. لذلك فلم تطلبوا المتعة من المصدر (الزواج الأرضي) الذي كان سبب وجودكم؛ لأنكم أحببتم (المسيح) أكثر من الآخرين. أحببتم الذي لم يأتِ إلى العالم بهذه الطريقة.

---

[٣] لا يُفهَم من هذا الجزء أن القديس أغسطينوس يهدف إلى احتقار الزواج (راجع العظة ١٩٦ فقرة ٢ في هذا الكتاب) إنما يهدف إلى إبراز كرامة البتولية.

ابتهجن أيتها العذارى. ولَدَتْ لكم عذراء مَــنْ يمكــنكم أن تقترنوا به بلا دنس ...

تهللوا أيها الأبرار، إنه ميلاد مَنْ يُبرِّر!!

تهللوا أيها الضعفاء والمرضي، إنه يوم ميلاد المُخلِّص!!

تهللوا أيها المأسورون، إنه يوم ميلاد الفادي!!

تهللوا أيها العبيد، إنه ميلاد الحاكم!!

تهللوا أيها الأحرار، إنه ميلاد المُحَرِّر!!

تهللوا يا كل المسيحيين، إنه ميلاد المسيح!!

٣. هذا[٤] الطفل المولود من الآب، الذي خلق كل الــدهور، والآن قد وُلِد من أم، فلقد مَدَح هو نفسه هذا اليوم. المــيلاد الأول لا يمكن أن يكون بأم، ولم يوجد في المــيلاد الثــاني أب. في كلمة واحدة، المسيح وُلِد من أب وأم، وأيضًا وُلِــد بدون أب وبدون أم. لأنه كإله قد وُلِد من الآب وكإنسان قد وُلِد من أم (العذراء مريم)، كإله وُلِد بدون أم وكإنسان قــد وُلِد بدون أب. لذلك "**جيلــه مــن يُخبِــرُ بــه؟**"[٥] (إش٥٣: ٨).

---

[٤] في هذا الجزء يقارن القديس أغسطينوس بين ميلاد المسيح الأزلي من الآب قبل كل الدهور وبين ميلاده الجسدي من العذراء مريم في ملء الزمان.

[٥] هذه الترجمة بحسب الترجمة السبعينية للكتاب المقدس وكذلك الترجمة اللاتينية والتي كان يقتبس منها القديس أغسطينوس في مؤلفاته، كما انها وردت هكذا في الترجمات الإنجليزية المختلفة كـ "NIV, KJV" التي نقلت عن النص العبري الماسوري.

سواءً كنّا نعتبر جيله خارج حدود الزمن.. أو بـدون زرع بشر.. سواءً الذي بدون بداية أو الذي بدون شـبيه سـابق له.. سواءً الذي لم ولن ينتهي من الوجود.. أو الـذي لـم يسبق له وجود ولم يأتِ بعده نظير.. سواءً الذي لـيس لـه نهاية أو هذا الذي له بداية هناك على الأرض حيث كانـت نهايته.

هكذا أعلن الأنبياء حقًا أنه سـوف يُولَد، وحقًا أعلنـت السماء والملائكة أنه وُلِد. ذاك الذي يُدبِّر العالم نـائم فـي المذود، طفل لا يتكلَّم ومع ذلك هو كلمـة الله. هـذا الـذي لا تحتويه السماء، يحتضنه حضن امرأة. تلك التي خـضع لها ملكنا، حملت ذاك الذي نُوجَد به، أطعمت ذاك الذي هو خبزنا. يا لهذا الضعف والتواضع المُذهِل الذي اختبـأ فيـه ملء اللاهوت! بقوته تعهَّد الأم التي خضع لها وهو طفـل، وأطعم بالحق تلك التي أرضعته بثدييها.

الذي لم يحتقر تواضع بدايتنا، فليُكمِّل عمله فينا، وهـذا الذي من أجلنا اشتهى أن يصبح ابن الإنسان، ليجعلنا أبنـاءً لله.

العظة الثالثة*
عن عيد الميلاد

١. لنفرح أيها الإخوة، ولنتهلل وتُسَر جميع الأمم، لأن ليس الشمس المرئية، بل خالق الشمس غير المرئي قد كرَّس ذلك اليوم الذي فيه العذراء الأم الحقيقية والطاهرة ولدت خالقها الذي أصبح مرئيًّا من أجلنا. العذراء تحبل وتبقى عذراء، والعذراء تحمل في داخلها طفلاً، والعذراء تلد طفلها ولكنها تبقى دائمًا عذراء.

لماذا تتعجب من هذا أيها الإنسان؟ لقد كان مناسبًا لله أن يُولَد عندما أراد أن يكون إنسانًا. كذلك صنعها هي التي سوف يُولَد منها. لقد كان موجودًا قبل أن تُخلَق هي. ولأنه القادر على كل شيء فاستطاع أن يصبح إنسانًا في حين أنه بقي كما هو. لقد خلق أمه وهو مع الآب، وعندما وُلِدَ من تلك الأم بقي أيضًا مع الآب. كيف يمكن لذاك الذي حفظ بتولية أمه بعد أن وَلَدَت ألا يبقى إلهًا بعد أن صار إنسانًا؟

* وهى العظة رقم ١٨٦ من عظات القديس أغسطينوس.

علاوة على ذلك، فإن حقيقة صيرورة الكلمة جسدًا لا يعني أن الكلمة انتهى وتحطّم بمجرد لبسه للجسد، ولكن الجسد اقترب من الكلمة، حتى كما أن الإنسان هو نفس وجسد، فكذلك المسيح إنسان وإله. فنفس الشخص الذي هو إنسان هو إله. ونفس الشخص الذي هو إله هو إنسان. ليس باختلاط الطبائع ولكن باتحاد في شخص واحد. أخيرًا، الذي هو ابن الله، المولود من الآب، وهو أزلي مع أبيه، وهو قد وُلد من العذراء، أصبح ابن الإنسان. وبذلك أُضيف الناسوت إلى لاهوت الابن، دون أن ينتج اتحاد لأربعة أقانيم، وهكذا يثبت الثالوث (الآب والابن الذى تجسَّد والروح القدس).

٢. لذلك لا تؤثِّر فيكم آراء بعض الأشخاص الذين لا يُراعون قواعد الإيمان ولا كلمات الكتاب المقدس. لأن هؤلاء يقولون: "الذي كان ابن الإنسان صار ابن الله، وابن الله لم يصر ابن الإنسان". في هذه العبارة ركّزوا انتباههم على مبدأ صحيح، ولكنهم لم يتمكّنوا من شرح الحق. لأنه على أي أساس ركّزوا اهتمامهم فقط على أن الطبيعة البشرية يمكن لها أن تتغيَّر إلى شيء أعلى، ولكن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تتغير إلى شيء أقل؟ هذا صحيح،

ولكن مع ذلك فالكلمة أصبح جسدًا دون أن يتغير إلى شيء أقل، لأن الإنجيل لا يقول "الجسد صار الكلمة" ولكن "**الكلمة صار جسدًا**" (يو١: ١٤).

بالإضافة إلى ذلك فالكلمة هو الله كما يقول الإنجيلي: "**وكان الكلمة الله**" (يو١: ١). وما هو الجسد إلا الإنسان.. هكذا أيضًا فهذا الجسد الإنساني لم يوجد في المسيح بدون نفس، لأنه قال: "**نفسي حزينة جدًا حتى الموت**" (مت٢٦: ٣٨). فلو كان الكلمة هو الله والإنسان هو جسد، فإلى ماذا تشير هذه العبارة "**والكلمة صار جسدًا**" إلاّ إلى أن الله هو الذي صار إنسانًا؟

وبنفس الفكر، فالذي هو ابن الله أصبح ابن الإنسان بأن أخذ طبيعةً أقل منه دون أن تتغير طبيعته السابقة بأخذه ما لم يكن له، وليس بفقدان الذي له. لأنه كيف لنا أن نعترف في قانون الإيمان أننا نؤمن أن ابن الله هو الذي وُلِدَ من العذراء مريم إذا كان المولود من العذراء مريم ابن الإنسان وليس ابن الله؟ أي مسيحي يستطيع أن ينكر أن ابن الإنسان وُلِدَ من هذه المرأة، وأن الله أصبح إنسانًا، وهكذا وُلِد إله مُتأنِّس حيث أن الكلمة هو الله "والكلمة صار جسدًا"؟

فلهذا يجب أن نعترف أن هذا الذي هو ابن الله، لكي يولد من العذراء مريم، أخذ شكل العبد وأصبح ابن الإنسان، وظلّ كما كان آخذاً فوقه ما لم يكن له (الجسد)، وبدأ يوجد - **كإنسان** - كأقل من الآب في نفس الوقت الذي هو فيه دائمًا واحد مع الآب[٦].

٣. لأنه لو كان ذاك، الذي هو ابن الله الأزلي، لم يصبح ابن الإنسان، فكيف يقول الرسول عنه "**الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِب خلسةً أن يكون مُعادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائرًا في شبه الناس**" (في٢: ٦، ٧)؟ ليس آخر، بل هو نفسه، المساوي للآب الذي هو في صورة الله، الذي هو ابن الآب الوحيد الجنس "أخلى نفسه صائرًا في شبه الناس". ليس آخر بل هو نفسه، المساوي للآب (في الجوهر) والذي في صورة الله، "وَضَعَ نفسه" وليس آخر و"**أطاع حتى الموت موت الصليب**" (في٢: ٨). كل هذا أتمه ابن الله في شكل ابن الإنسان. كذلك لو كان هذا الذي هو دائمًا

[٦] يشير إلى قول المسيح نفسه "أبي أعظم مني" ولقد كان يقصد بذلك وضعه عندما تجسّد وأخلى نفسه آخذاً صورة عبد.

ابن الله لم يصبح ابن الإنسان، فكيف يصف الرسول نفسه في الرسالة إلى أهل رومية: "... **المُفرَز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد**" (رو ١: ١- ٣)؟

انظروا، فهذا الذي كان دائمًا ابن الله أصبح من نسل داود حسب الجسد، صائرًا ما لم يكن من قبل. كذلك لو لم يكن ابن الله قد أصبح ابن الإنسان، فكيف يُرسِل "**الله ابنه مولودًا من امرأة**" (غل٤:٤)؟ هذه الكلمة "امرأة" في اللغة العبرية لا تنفي ثبات البتولية ولكنها تشير إلى جنس الأنثى. مَنْ الذي أُرسِل من الآب غير الابن الوحيد الجنس؟ كيف إذًا يمكنه أن يولد من امرأة إلا إذا كان هو نفسه ابن الله الموجود مع أبيه الذي أُرسِل وأصبح ابن الإنسان؟

الذي وُلِد من الآب خارج حدود الزمن، ووُلِد من أم في هذا اليوم. هذا اليوم الذي صنعه هو، اختاره لكي يظهر فيه في الجسد، كما أنه وُلد من الأم التي خلقها بنفسه. هذا اليوم الذي، ابتداءً منه، يزداد النور يومًا فيوم، يرمُز لعمل المسيح الذي به يتجدد إنساننا الداخلي

يومًا فيومًا (٢كو ٤: ١٦). إنه مناسب أن اليوم الـذي فيـه كانت كل الخليقة الزائلة في سلام وانسجام، يكون هو يـوم ميلاد الخالق الأبدي الذي ظهر فيه تحت الزمن[٧].

---

[٧] التعاليم في هذه العظة تتفق مع رسالة القديس أثناسيوس الرسولي إلى إبكتيسوس أسقف كورنثوس عام٣٦٩ م حيث كان القديس أثناسيوس يرد على مجموعة من الأسئلة التي أثيرت في هذه الإيبارشية من مجموعات أريوسية وغيرها لها آراء خيالية من جهة التجسُّد وعلاقة جسد المسيح بلاهوته الأزلي الذي هو من جوهر الآب وقد صارت لهذه الرسالة شهرة عند آباء الكنيسة في القرنين الرابع والخامس، كما استند إليها القديس أبيفانيوس في الرد على بدعة أبوليناريوس أسقف اللاذقية الذي أنكر وجود نفس إنسانية في المخلص بالإضافة إلى أنها كانت مرجعًا في محاربة النسطورية في القرن الخامس وهذا واضح في العظة التي بين أيدينا التي تؤكد على إتحاد طبيعتي المسيح الإنسانية الكاملة واللاهوتية الكاملة بدون أي نوع من الاختلاط أو التغيير كما علَّم بذلك القديس كيرلس عمود الدين فيما بعد.

العظة الرابعة*
عن عيد الميلاد

١. اليوم أشرق علينا يوم ميلاد ربنا يسوع المسيح ببهائه الاحتفالي. إنه عيد ميلاده، اليوم الذي فيه وُلِدَ النهار الأبدي ولذلك في هذا اليوم ومن هذا اليوم فصاعدًا سيطول النهار.

إن ربنا له ميلادان: أحدهما إلهي والآخر بشري، والاثنان مُبهِران. واحد بدون امرأة كأم والآخر بدون رجل كأب، لذلك ينطبق على الميلادين كلمات إشعياء النبي: "**وجيله مَنْ يخبر به؟**" (إش٥٣: ٨). مَنْ يستحق أن يتكلَّم عن إله يلد ابنه؟ مَنْ يستحق أن يتحدث عن الميلاد العذراوي؟ الميلاد الأول حدث خارج حدود الزمن، الميلاد الأخير حدث في يوم محدد في الزمن. والإثنان حدثا خارج حدود الحسابات البشرية، والاثنان يُنظَر إليهما بإعجاب.

تأمل الميلاد الأول: "**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله**" (يو١:١) ولكنه كلمة مَنْ؟ إنه الكلمة الذي للآب نفسه وأي كلمة؟ إنه الابن نفسه. لم يوجد الآب

* وهي العظة رقم ١٩٦ من عظات القديس اغسطينوس.

قط بدون الابن، ولكن ذاك الذي لم يوجد أبدًا دون الابن ولَد هذا الابن. ولده وعلى الرغم من ذلك لم يكن للابن بداية، فلا يوجد بداية لذلك الذي وُلِدَ بدون بداية. ولكن على كل حال قد وُلِد الابن.

سيقول أحد: "كيف وُلِدَ إن لم يكن له بداية؟"

إذا كان قد وُلِدَ فيكون له بداية. فإذا كان بلا بداية كيف يكون قد وُلِدَ؟ لست أدري كيف حدث هذا. هل تسألني وأنا مجرد إنسان كيف وُلِد الله؟ سؤالك يربكني ولكن قد يكون لي معونة في كلمات النبي "**جيله مَنْ يخبر به؟**" (إش٥٣: ٨).

تعال معي لننظر ذلك الميلاد البشري. تعال معي إلى حيث "**أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد**" (في٢: ٧) تعال ولننظر إذا كُنَّا نستطيع أن نفهمه، لننظر إذا كُنَّا نقدر أن نتكلَّم عنه، فمَنْ يستطيع أن يدرك معنى "**إذ كان في صورة الله، لم يَحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله**" (في٢: ٦)؟ مَنْ يستطيع أن يفهم هذا؟ مَنْ يستحق أن يُفكِّر فيه؟ مَنْ الذي يجرؤ عقله أن يفحصه؟ مَنْ الذي يتجاسر لسانه ليحكم في هذا؟ مَنْ الذي يستطيع فكره أن يحويه؟

هكذا لنترك هذه المسألة جانبًا حيث أنها ثقيلة علينا. ولكن حتى لا تكون ثقيلة علينا، لذلك "**أخلى نفسه، آخذًا**

صورة عبد ووُجِد في الهيئة كإنسان" (في٢: ٧). أين حدث هذا؟ في العذراء مريم. لنقل إذًا شيئًا إن كان لنا أي قدرة على النطق. الملاك يُبشِّر ثم العذراء تسمع وتؤمن وتحبل بالإيمان في عقلها وبالمسيح في أحشائها. قد حبلت العذراء: فتتعجبون. والعذراء ولدت طفلاً فتتعجبون أكثر. وبعد الولادة بقيت عذراء. لذلك: "جيله مَنْ يخبر به؟"

٢. أيها الإخوة الأحبَّاء سأقول شيئًا يَسرُّكم. توجد ثلاث حالات للحياة يحياها أعضاء كنيسة المسيح: الزواج، أو الترمل، أو البتولية. لأن هذه الحالات وهذه الصور المختلفة للطهارة كان لابد لها أن توجد في أعضاء المسيح القديسين. الحالات الثلاث تعطي شهادة للمسيح.

أولاً: حالة الزواج أعطت الشهادة، لأنه عندما حبلت العذراء مريم كانت أليصابات امرأة زكريا تحمل في أحشائها يوحنا المعمدان السابق للمسيح الديَّان، إذ كانت (أليصابات) قد حبلت به قبلاً. فجاءت القديسة مريم لتهنئ نسيبتها. حينئذٍ ارتكض الجنين في بطن أليصابات بفرح. ابتهج الجنين وتنبأت أليصابات (لو١: ٣٩ ـ ٥٦). هنا ترون الطهارة الزوجية شاهدة للمسيح.

أين شُهِدَت حالة الترمل للميلاد أيضًا؟ في حالـــة حنّـــه. عندما قُرِىءَ الإنجيل منذ قليل، سمعتم أن حنه كانت أرملة قديسة لها موهبة النبوة. بعد أن عاشت مع زوج ســبع ســنين بعد بكوريتها. ترمَّلت نحو أربع وثمانين سنة، كانت دائمًا فـــي الهيكل تتعبّد في الصلاة ليلاً ونهارًا. وهى أرملة تعرَّفت على شخص المسيح. فلقد رأت طفلاً صــغيرًا وعرفــت أنـــه الله العظيم وشهدت له (لو٢: ٣٦ - ٣٩) وهكذا ترون فيها صورة لحالة الترمل. وفي مريم نفسها نرى نموذجًا لحالة البتولية.

فليختر كل واحد لنفسه الحالة التي يريدها. مَنْ يختـــار أن يحيا خارج هذه الحالات الثلاث لا يعمـــل اعتبـــارًا لوجـــوده ضمن أعضاء المسيح. فلا تقل النساء المتزوجات: "نحن لــسنا للمسيح"، فكان للنـــساء القديـــسات أزواج. لا تفتخـــر النـــساء العذارى بل ليتواضعن في كل شيء كما يليق بكرامتهن. "**ازدد تواضعًا ما ازددتَ عظمة فتنال حظوة لدى الرب.**" (ســيراخ٣: ٢٠) فأمام أعينكم كل طرق القداسة. لا ينحرف أحد عـــن هـــذه الحدود. ولا يترك أحد امرأته، فقد كان مـــن الأفـــضل أن يكون بلا امرأة عن أن تكون له ويتركها. إذا كنتم تبحثـــون عن الطهارة الزوجية، فأمامكم سوسنة؛ ولو عن الطهـــارة الترملية، أمامكم حنه؛ وعن البتولية، أمامكم العذراء مريم.

٣. أراد الرب يسوع أن يكون إنسانًا لأجلنا. الحكمة حَلّ على هذه الأرض، فلا نجعل رحمته بلا قيمة. "**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله**" (يو ١: ١).

يا طعام وخبز الملائكة!! إن الملائكة بك يمتلئون!

هم يشبعون ولكنهم لا يبعدون عنك!

هم يحيون بك! هم حكماء فيك! هم سعداء بسببك!

وأين أنت لأجلي؟ إنك في مسكن ضيِّق، في خِرَق، في مذود!!

مِن أجل مَنْ كل هذا؟ ذاك الذي يُرشد النجوم يرضعه الثدي، ولكنه يُشبِع الملائكة. هو يتكلَّم في حضن أبيه ولكنه صامت في أحشاء أمه. ولكن إذ تتقدم به الأيام سيُكلِّمنا، سوف يُكَمِّل لنا الإنجيل، سيتألم ويموت لأجلنا، سيقوم مرة أخرى كعلامة لمكافأتنا، سيصعد إلى السماء أمام أعين تلاميذه، سيأتي ثانيةً من السماء للدينونة.

انظروا ذاك الذي كان في المزود، وَضَعَ نفسه ولكن لم يهلكها. أخذ إلى نفسه ما لم يكن له ولكنه بَقِي كما هو. انظروا، نحن لنا المسيح الطفل، فلننموا فيه!

٤. لتكن هذه الأفكار كافية لمنفعتكم، لأنه يليق بي أن أقول شيئًا للجموع التي أراها قد تجمَّعت للعيد. فقد اقترب أول

يناير[٨]. كلكم مسيحيون والدولة مسيحية بنعمة الله، رغم أنه يوجد نوعان من الناس فيها: مسيحيون ويهود. فلا يليق أن نفعل تلك الأشياء التي يبغضها الله: الخداع في التسلية والشرّ في المزاح. لا يجعل أناس أنفسهم كديَّانين لئلا يقعوا في أيدي الديَّان الحقيقي. أنصتوا أيها المسيحيون ... أنتم أعضاء المسيح، افتكروا ماذا أنتم؟ تَفَكَّروا في الثمن الذي به اُشتريتم. أخيرًا إذا كنتم تريدون أن تعرفوا ماذا أنتم تفعلون، فأنا أخاطب هؤلاء الذين يفعلون الشر، أتوسل إليكم يا مَنْ ترون الآن تلك الأعمال أنها غير مرضية، ألاّ تكرّروها آذين أنفسكم. وأُكلِّم هؤلاء الذين مازالوا يفعلون الخطية ويُسَرّون بها. أتريدون أن تعرفوا ماذا أنتم فاعلون وكم من أحزان تجلبها (الخطية) علينا؟ اليهود يفعلون هذا. أتوسل إليكم أن تستحوا أن تفعلوا هكذا...

انصتوا، فأسقفكم الآن يحذركم مُسبقًا... فالأفضل لي أن أُسمَع وأنا أحذركم من هذا من أن أقع تحت الذنب.

---

[٨] القديس هنا يعالج مشكلة أسلوب الاحتفال برأس السنة التي عالجها في العظة الأولى.

العظة الخامسة*
عن عيد الظهور (مجيء المجوس)

١. منذ أيام قليلة احتفلنا بعيد ميلاد الرب، واليوم نعيّد بعيد الإبيفانيا[٩]. هذه الكلمة التي تأتي من اللغة اليونانية وتعني "الظهور" تُذَكِّرنا بكلمات الرسول بالإجماع "**عظيمٌ هو سر التقوى: الله ظَهَرَ في الجسد**" (اتي٣: ١٦) هكذا فالعيدين هما بخصوص استعلان المسيح. فالعيد الأول، هو احتفال بذاك الذي وهو كائن كإله مع أبيه بدون بداية قد وُلِد كإنسان من امرأة بشرية وظهر للبشرية في الجسد لأن الإنسان لا يستطيع أن ينظره وهو كائن في طبيعته الروحية. في ذلك اليوم - المدعو يوم ميلاده - رآه رعاة يهود. وأما في

* العظة رقم ٢٠٤ من عظات القديس أغسطينوس.

٩ كان هناك تقليد في الكنيسة الأولى وخاصةً كنائس شمال أفريقيا للاحتفال بالميلاد الزمني للرب يسوع من العذراء مريم يوم ٢٥ ديسمبر اليولياني (يوافق ٢٩ كيهك قبطي) والاحتفال يوم ٦ يناير اليولياني بزيارة المجوس للرب يسوع في بيت لحم. ومازالت جميع الكنائس التي تتبع الطقس اللاتيني تحتفل بهذا اليوم يطلقون عليه "الإبيفانيا". وهذا يختلف عن الطقس القبطي الذي يعتبر الإبيفانيا هو الظهور الإلهي في عيد الغطاس المجيد.

هذا اليوم - المدعو بحق الإبيفانيا أي "الظهور" - سجد له مجوس من المشرق. الرعاة بشّرتهم الملائكة بمجيئه، أمّا المجوس فقام نجم بهذه المهمة. في حالتي الرعاة والمجوس تحدّثت السموات بمجد الله (مز ١٨: ٢).

٢. لقد وُلِد (المسيح كلمة الله الأزلي) للفريقين كحجر الزاوية حتى كما يقول الرسول "... **يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب**" (أف٢: ١٥، ١٦). فما هى الزاوية إلا التحام حائطين آتيين من اتجاهات مختلفة ليجدوا عند الزاوية - كما نستطيع أن نقول - قُبلة السلام؟ فالختان والغرلة، أي اليهود والأمم، كانوا بلا شك متعادين بسبب ديانتهما المختلفتين والمتناقضتين بالفعل. اليهود يعبدون الإله الواحد الحقيقي والأمم يعبدون آلهة كثيرة باطلة. ورغم أن اليهود كانوا قريبين والأمم بعيدين فذاك الذي وحّد الاثنين في جسد واحد لله قد أخذ الاثنين إلى نفسه كما يضيف الرسول مباشرةً: "...**بالصليب، قاتلاً العداوة به. فجاء وبشّركم بسلام، أنتم البعيدين والقريبين. لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحد إلى الآب**" (أف ٢: ١٦ - ١٨).

انظروا.. لقد أشار الرسول إلى حائطين مختلفين قادمين من عداوات مختلفة، وقادمين إلى الرب يسوع حجر الزاوية الذي جذب كلا الفريقين من الاتجاهات المختلفة والذي فيه تأسس الفريقان في توافق وانسجام، أي هؤلاء الذين من اليهود كما هؤلاء الذين من الأمم الذين آمنوا به. كما أشار إليهم المرتل عندما قال: **"تقدموا إليه [أنتم أيها القريبون والبعيدون] واستنيروا ووجوهكم لا تخزى"**[١٠] (مز٣٣:٥) كما أنه مكتوب أيضًا: **"هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختارًا كريمًا، والذي يؤمن به لن يُخزى"** (١بط٢:٦). فمن مكانين مختلفين أتى الفريقان معًا - إذ قد سمعوا وأطاعوا - بعد أن أنهوا خلافاتهم وأنهوا عداوتهم وهكذا كان الرعاة والمجوس باكورة الأُمَّتَيْن.

ففي أشخاص الرعاة والمجوس، عرف الثور قانيه والحمار معلف صاحبه (إش١:٣). من اليهود جاء الثور ذو القرنين إذ من بينهم قد جُهِّز قرني الصليب للمسيح. من الأمم جاء الحمار ذو الآذان الطويلة إذ قيلت عنهم النبوة **".. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي. من سماع الأذن يسمعون**

[١٠] حسب الترجمة القبطية.

لي..." (مــز١٨: ٤٣، ٤٤). فقاني الثور وصاحب الحمار كان في المذود ولكنه كان يعطي الطعام المشترك للحيوانين معًا.

ولأن السلام قد جاء لأولئك البعيدين وكذلك للقــريبين، فالرعاة الإسرائيليون، كأناس قريبين، جاءوا إلى المسيح في يوم ميلاده ورأوه وفرحوا. ولكن المجوس الأمميين، كأناس بعيدين جاءوا بعد ميلاده بأيام عديدة، ووجدوه وسجدوا لـــه في هذا اليوم. لذلك كان لائقًا أن نجمع بين الاحتفال بهـــذا اليوم الذي ظهر فيه المسيح لباكورة الأمم والاحتفال باليوم الذي وُلِد فيه المسيح من الجنس اليهودي وأن نحافظ علـــى ذكرى ذلك السر العظيم جدًا بتوقير مضاعف.

٣. عندما ننظر إلى قيام الحائطين – مـــن ناحيـــة اليهـــود ومن الناحية الأخرى الأمم – مُلتحمين عند حجـــر الزاويـــة وحافظين "**وحدانية الروح برباط السلام**" (أف٤:٣). لا يجـــب أن يرتبك العقل بمجرد التفوق العددي لليهود، لأن من بينهم البناءين، أي الذين أرادوا أن يكونوا مُعلِّمين للناموس والذين قال عنهم الرسول: "**هم لا يفهمـــون مـــا يقولـــون، ولا مـــا يقرِّرونه**" (١تي١:٧) لأنه بسبب ظلمة العقـــل قـــد رفـــضوا الحجر الذي "**قد صار رأس الزاوية**" (مز١١٨:٢٢).

ولكنه لم يكن رأس الزاوية إن لم يُهيِّئ لاتحــاد مملــوء سلام بين الشعبين الذين أتيا من أصول مختلفــة. لــذلك لا نحسب مضطهدي وقاتلي المسيح كجزء من ضمن الحــائط اليهودي، هؤلاء المهتمين ببناء الناموس وهــدم الإيمــان، هؤلاء الذين يرفضون حجر الزاوية ويخططــون لتــدمير مدينتنا الفقيرة. ولا يُحسَب أيضًا ضمن الحــائط اليهــودي الأعداد غير المعدودة لليهود المُشتَّتين في كــل الأراضــي التي يجلبون إليها معهم الشهادة للأسفار المقدسة، رغم أنهم يجهلون أهميتها.

ففي هؤلاء اليهود يَعْرُج يعقوب، الذي انخلع فخذه بعــد أن لُمِس (تك٣٢:٢٥)، مُعطيًا رمزًا للأعداد الغفيــرة جــدًا من الناس الآتين من نسله. ولكن لنَحسب ضــمن الحــائط المقدس هؤلاء الذين فيهم تبارك يعقوب، ذاك الحائط الــذي يمتد منه إلى سلام حجر الزاوية. فيعقوب مُبارَك وأعــرج معًا. مُبارَك في نسله المقدس وأعرج في الهالكين.

وليُحسَب ضمن الحائط المقــدس هــؤلاء الــذين فــي أعداد كبيرة تقدَّموا وساروا خلف الآتان الذي جلــس عليــه المخلص صائحين: "مبارك الآتي باسم الــرب" (مــت٢١:٩).

ليُحسَب أيضًا هؤلاء الذين أصـــبحوا تلاميــذ ومختـــارين ورسلاً. وليُحسَب أيضًا استفانوس، الذي دُعي بمـــا معنـــاه "تاج" في اليونانية، فتُوِّج بالاستشهاد بعـــد قيامـــة الـــرب. ليُحسَب بينهم الآلاف الذين آمنوا به بعد أن قبلـــوا الـــروح القدس، رغم أنهم كانوا من المُضطهِدين. لتُحسَب الكنـــائس التي قال عنها الرسول: **"ولكنني كنت غير معـــروف بالوجـــه عند كنائس اليهودية التي في المـــسيح. غيـــر أنهـــم كـــانوا يسمعون: أن الذي كان يضطهدنا قبلاً، يُبشِّر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه، فكانوا يمجدون الله فيَّ"** (غل ١ : ٢٢ - ٢٤).

بالتحديدات المذكورة ســـابقاً، لـــيُغطَ اعتبـــار للحـــائط اليهودي، وليتقابل مع الحائط الـــذي أصـــبح ظـــاهرًا الآن والآتي من ناحية الأمم. وهكذا المسيح الرب، حجر الزاوية الذي وُضِع أولاً في مكانه في المـــذود والآن رُفِـــع لعلـــو السموات، قد عُرِف ولم تَعُد الكرازة به باطلة.

اليوم البتول تلد الفائق الجوهر

والأرض تُقَرِّب المغارة لغير المقُتَرَب إليه

الملائكة مع الرعاة يُمَجِّدون

والمجوس مع الكوكب في الطريق سائرون

لأن من أجلنا وُلِدَ صبياً جديداً

الإله الذي قبل كل

لحن إي ب

يقال بعد إبركسيس

يُطلَب من: مكتبة كنيسة مارجرجس - سبورتنج
ت: ٥٩١٩٨٨٨ - فاكس: ٥٩٠٢٨٨٨